التيه في صحارى الجراح

غريبا اضيع بليل المدينة .. والريح تمطرني انجما
من ظلام
امدّ يدي اتلمس فيها بريقا
كأني به لؤلؤة
وما هي الا نيازك أهوت على جبهتي ..
مطفأة
وأسمع من خلل العصف صوتا يذكرني بنشيج
الشياطين أو قهقهات السعالى
فأعدو وكفي على مقلتيّ من الخوف .. في طرقات
الزحام
زحام الهياكل .. والجن .. والصور المرعبات
وكف تلوّح في المستحيل الى الشمس في دارة الالق
المتواري وراء الزمن
وجسمي يبرعم ألف ذراع يطول الى الافق
عند حدود الوطن
يناشد عبر سبات المدينة ما تتصدق فيه المجاهيل
من موحشات القدر
ويضرع كالذل للفيهب المتلاطم .. فوق سطوح الفجر

* * *

غريبا أضيع بجرح تمدد .. حتى احتوى مدن الصمت
في أرضها المقفره
فغام عليها دم خثّرته العصور
وأطبق كابوسه يرعب الهاجعين بظل النخيل
وشطآن أنهره المصحره
كأن المياه تمجّ .. جماجم تاريخها وحوافر أفراسها
وصياح الفتوح
وتلقيه فيضا من الجبن والعزة الضائعه
وتغرق كل النيام على الضفة الوادعه
كأن يدي «مريم» هزت الجذع عنفا .. فأمطرها
رطب العقم ..
فاستتر الرحم يبكي الفراغ ..
فمدت اليه يدا علقته على الجذع صوتا ..
يخيف العشيره
وراحت تهدهد في المهد طفلا .. سيولده الغيب
عند طلوع القمر
سيحمل عنها هموم الضياع .. وتحلم ان سوف
يفتح كل الرتاجات ..
تحلم .. تحلم
لكنها .. عندما ارتعش الضوء .. لم تلق الا قتيلا
مسجى على وردة ..
وبعينيه ادمع كل البشر
وآلام عشق الاميره

* * *

غريبا اضيع وحولي تدور العناكب ..
تنسج ما عميت فيه عين الطريق
يحاصرني ألف ظل لوجهي على الارض .. لست
اعرف منها الذي هو ظلي
ومن خلف كل الستائر ادركت .. ان الذي يتمشى
عليه دم ما يزال .. وتغفو عليه الجراح ..
ويحفر في وجنتيه الردى هو وجهي
فأرعبني مثلما يرعب الطفل وجه القتيل .. وان كان
هذا القتيل أباه ..
وقد ضمه بحنان الى صدره .. وقبّل عينيه ..
مسّح ادمعه زمن الدفء
غير اني اخاف رؤاه كما كنت طفلا
وسوف اعلّم اطفالي الخوف .. كي يعشقوا
العمر مثلي
وسوف اطهّر آذانهم من حكايا الكرامة والثأر والمدن
المستباحة منذ الوف السنين
عبرت الصحارى الى البحر .. حيث العرائش
تضحك للسفح ..
يغسلها المطر المتساقط من كوة ..
خلف عصر الضمير
وقفت احدق والبحر يهمس .. يهمس .. حتى
تلاطم
وامتدت اليد واقتلعت قلبي المطمئن
والقت به للعدم
فعدت الى وطني دون قلب
وما زلت ابكي غريبا .. تناهى الى اذني من هناك ..
صراخ علا وتخالط .. حتى عرفت العشيرة
داهمها بربري يذبح فرسانها .. ويسوّي
بأعظمهم عرشه الملكي
وأسمع بعد خطى .. من هنا .. حشرجات لافواه
أعرفها لم تذق غير ملح العذاب .. وغير
اخضرار الحقيقة .. احرسها المستبد
وراح يعيش .. على صمتها الناطق الابدي
وجزت بكل جراحي الى ضفة في الخليج .. الى
الشرق من واحة الحب .. انظر للماء ..
حتى تبينت في الافق شيئا .. يضج
هوى في عروقي .. والماء يهمس ..
يهمس حتى تلاطم وامتدت اليد واقتلعت
عرقي المستريح ..
والقت به للعدم
فعدت الى غربتي .. وهي تهزأ بي ..
وبظل من الدم يزحف خلفي
ووليت للشمس وجهي .. وللعصر ظهري
صرخت .. من الالم المتشنج في جسدي المتهاوي
رجفت .. لان الصدى عاد اكبر من صرختي ..
ارتعش الليل منه ..
يقول :
على كتفيك .. بجعبة زادك ..
كل الضماد

محمد حسين آل ياسين